



الكرسي الرسولي

رشف عبالا نوال ابابلا ةسادق ةظع

ةيزعتلا لىبوي ةيشع يف

2025 ربمتبس/لوليأ 15 نينثالا موي

سرطب سيءقلا ةحاس

[Multimedia]

"عزّوا شَعْبِي" (أشعيا 40، 1). هذه هي دعوة أشعيا النبي، تصل إلينا اليوم أيضاً بشكل مُلحّ وملزم: إنّها تدعونا إلى أن نشارك تعزية الله مع إخوة وأخوات كثيرين يعيشون أوضاعاً فيها ضعف وحزن وألم. وللباكين والمحبتين والمرضى والحزاني، يتردّد صدى الإعلان النبويّ لإرادة الله في إنهاء الآلام وتحويلها إلى فرح. وبهذا المعنى، أودّ أن أشكر مجدداً الشّخصين اللذين قدّما شهادتهما. فكلّ ألم يمكن أن يتحوّل ويتبدّل بنعمة يسوع المسيح. شكراً! الكلمة المليء بالرّافة، الذي صار جسداً في المسيح، هو السّامري الرّحيم الذي كلّمنا عليه الإنجيل: هو الذي يضمّد جراحنا، ويهتمّ بنا. في لحظة الظّلام، حتّى في غياب كلّ نور، الله لا يتركنا وحدنا، بل في هذه اللحظات نفسها نحن مدعوّون أكثر من أيّ وقت مضى إلى أن نملأ قلبنا بالرّجاء في قربه، فهو المخلّص الذي لا يتركنا أبداً.

نحن نبحت عمّن يعزّينا، ومراراً لا نجد أحداً. أحياناً حتّى أصوات الذين يريدون أن يشاركونا ألماً، صادقين، تصير لنا أمراً لا يطاق. هذا صحيح. هناك أوضاع يصير فيها الكلام بلا فائدة، بل يصير زائداً. في هذه اللحظات، ربّما تبقى فقط دموع البكاء، إن لم تكن قد جفّت. ذكّر البابا فرنسيس بدموع مريم المجدليّة، الحائرة والوحيدة، عند قبر يسوع الفارغ. قال: "إنّها تبكي ببساطة... انظروا، أحياناً في حياتنا، النّظارات التي نرى بها يسوع هي الدّموع. هناك لحظة في حياتنا حيث الدّموع وحدها هي التي تهيننا لرؤية يسوع. وما هي رسالة تلك المرأة؟ "لقد رأيت الرّب يسوع". [1]

أبها الإخوة والأخوات الأعزّاء، الدّموع لغة تعبّر عن مشاعر عميقة في القلب المجروح. الدّموع صرخة صامتة تطلب الرّحمة والعزاء. وهي أوّل تحرّر وتطهير للعينين والإحساس والتّفكير. يجب ألا نخجل من أن نبكي، فهو طريقة لكي نعبر فيها عن حزننا وعن حاجتنا إلى عالم جديد، وهو لغة تتكلّم على إنسانيتنا الضّعيفة والمُبتلاة بالمحن، لكنّها مدعوة إلى الفرح.

حيث يوجد الألم، يظهر حتماً السّؤال التّالي: لماذا كلّ هذا الشرّ؟ من أين يأتي؟ لماذا كان لا بدّ من أن يحدث لي أنا بالذّات؟ كتب القديس أغسطينس في اعترافاته: "كنت أبحث عن أصل الشرّ... ما هي جذوره، وما هي بذرته؟... إن كان الله الصّالح قد خلق كلّ الأشياء صالحة، فمن أين ينشأ الشرّ إذن؟... هذه كانت الأفكار التي تراودني في قلبي البائس... مع ذلك، بقي في قلبي الإيمان بالكنيسة الكاثوليكيّة، وبمسيحها وربّنا ومخلصنا، ثابتاً وراسخاً، وهو إيمان لم

الانتقال من الأسئلة إلى الإيمان هو ما يعلّمنا إياه الكتاب المقدّس. في الواقع، هناك أسئلة تجعلنا نطوي على أنفسنا وتفصلنا في داخلنا وتبعدنا عن الواقع. هناك أفكار لا يمكن أن يأتي منها شيء. إن عزّلتنا وجعلتنا نياس فإنّها تهين عقلنا أيضًا. من الأفضل، كما جاء في المزامير، أن تكون الأسئلة احتجاجًا أو شكوى أو ابتهاجًا من أجل العدل والسّلام اللّذين وعدنا الله بهما. إذّاك نلقى جسرًا نحو السّماء، حتّى عندما يبدو الله صامتًا. في الكنيسة نبحث عن السّماء المفتوحة، التي هي يسوع، وهو جسر الله نحونا. هناك تعزية تصل إلينا، عندما يبقى ذلك الإيمان "راسخًا وثابتًا" رغم أنّه يبدو لنا "غامضًا ومتأرجحًا" مثل سفينة في العاصفة.

حيث يوجد الشّرّ، هناك يجب أن نبحث عن القوّة والتّعزية اللتين تغلبان الشّرّ ويقاومان به بلا هوادة. في الكنيسة هذا يعني: أنّا لسنا وحدنا أبدًا. في الكنيسة ضع رأسك على كتف يعزّيك، ويكي معك ويقوّيك، هو دواء لا يمكن لأحد أن يحرم نفسه منه، لأنّه علامة المحبّة. حيث يكون الألم عميقًا، يجب أن يكون الرّجاء الذي يولد من الوحدة والشّركة أقوى. وهذا الرّجاء لا يخيب.

الشّهادات التي أصغينا إليها تنقل إلينا هذه الحقيقة: الألم يجب ألاّ يولّد العنف، والعنف ليس له الكلمة الأخيرة، لأنّ الحبّ يغلبه، الحبّ الذي يعرف أن يغفر. أيّ تحرّر أكبر يمكننا أن نرجو تحقيقه إن لم يكن التحرّر الذي يأتي من المغفرة، التي يمكنها أن تفتح القلب بالنعمة رغم كلّ ما تعرّض له من كلّ أشكال الوحشية؟ العنف الذي تعرّضنا له لا يمكننا أن نمحيه، لكن المغفرة التي نمنحها لمن سبّبها هو استباق لملكوت الله على الأرض، وهي ثمرة عمله الذي يضع حدًا للشّرّ ويقيم العدل. الفداء هو رحمة، ويمكن أن يجعل مستقبلنا أفضل، فيما نحن ما زلنا ننتظر عودة الرّبّ يسوع. هو وحده سيمسح كلّ دمة من عيوننا وسيفتح كتاب التّاريخ ويجعلنا نقرأ الصّفحات التي لا يمكننا اليوم أن نبرّرها ولا أن نفهمها (راجع رؤيا يوحنا 5).

لكم أيضًا، أيّها الإخوة والأخوات الذين تعرّضتم للظلم والعنف والإساءة، مريم العذراء تكرر لنا اليوم وتقول: "أنا أمك". والرّبّ يسوع يقول لكم في أعماق قلوبكم: "أنت ابني، أنت ابنتي". لا أحد يستطيع أن يسلب منكم هذه العطية الشخصية المقدّمة لكلّ واحد منكم. والكنيسة، التي جرحكم بعض أعضائها للأسف، تجثوا اليوم معكم أمام أمنا مريم العذراء. لتعلّم منها كلّنا أن نحافظ على الصّغار والأضعفين بحنان! ولنتعلّم أن نصغي إلى جراحكم، ونسير معًا. لنقبل من مريم أمّ الأوجاع القوّة لنذكر أنّ الحياة لا تُعرّف فقط بالشّرّ الذي نعانيه، بل بمحبّة الله الذي لا يتخلّى عنا أبدًا والذي يقود ويرشد كلّ الكنيسة.

ثمّ، إن كلام القدّيس بولس يقترح علينا أنّه عندما نال التّعزية من الله، نصير قادرين على أن نقدّم التّعزية للآخرين أيضًا، كتب الرّسول: "فهو الذي يعزّينا في جميع شدائدنا لنستطيع، بما تتلقّى نحن من عزاء من الله، أن نُعزّي الذين هم في آية شدّة كانت" (2 قورنثس 1، 4). أسرار قلوبنا ليست مخفية عن الله: يجب علينا ألاّ نمنعه من أن يعزّينا، وتوهم أنّنا يمكننا أن نعتمد فقط على قوتنا.

أيّها الإخوة والأخوات، في ختام هذه العشيّة، سنقدّم لكم هدبة صغيرة: "حمل الله" (Agnus Dei). إنّها علامة يمكننا أن نحملها إلى بيوتنا لتذكّر أنّ سرّ يسوع، وموته وقيامته من بين الأموات، هو انتصار الخير على الشّرّ. هو الحمل الذي يُعطي الرّوح القدس المعزّي، الذي لا يتركنا أبدًا، ويواسينا في احتياجاتنا ويقوينا بنعمته (راجع أعمال الرّسل 15، 31).

أحبّائنا الذين انتزعهم ممّا أخونا الموت لا يضيعون ولا يتلاشون في العدم. حياتهم ملكٌ للرّبّ يسوع الذي يعانقهم ويضمّمهم إليه، مثل الراعي الصّالح، وسيعيدهم إلينا يومًا لكي ننعّم معهم بالسّعادة الأبدية.

أيّها الأعزّاء، كما يتألّم الأفراد، توجد اليوم أيضًا جماعات بل شعوب بأكملها فريسة للألم، مسحوقة تحت وطأة العنف والجوع والحرب، وتتوسّل من أجل السّلام. صراخهم شديد، يلزمنا أن نصلي ونعمل لكي يتوقّف كلّ عنف ويتمكن المتألّمون من أن يستعيدوا الطمأنينة، ويلزم قبل كلّ شيء الله، الذي يخفق قلبه بالرحمة، لكي يأتي ملكوته. التّعزية الحقيقية التي يجب علينا أن نكون قادرين على نقلها هي أن نبين أنّ السّلام ممكن، وأنّه يزهر في كلّ واحد ممّا إن لم نخنقه. ليصغ مسؤولو الأمم بشكل خاصّ إلى صراخ الأطفال الأبرياء الكثيرين، لكي يضمّنوا لهم مستقبلًا يحميهم ويعزّيهم.

3 وفي وسط هذا الاستبداد الكثير، نحن واثقون أنّ الله سيُوجد القلوب والأيدي التي تحمل المساعدة والتّعزية، وسيُوجد العاملين من أجل السّلام والقادرين على أن يشجّعوا المتألّمين والحزّاني. ومعاً، كما علّمنا يسوع، لنصرخ صادقين: "ليأت ملكوتك!".

2025 ناكيتافلا ةرضاح - ةظوفحم قوقحلا عيمج ©

[1] فرنسيس، التأمّل الصّباحي في كابيلا بيت القديسة مرتا (2 نيسان/أبريل 2013).

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana